الفصل الثالث

مسيحية: بولس أم المسيح؟!

نعم.. إنهما مسيحيتان، لا مسيحية واحدة..

ولا عجب فإن أسفار العهد الجديد - بأناجيلها الأربعة ورسائل التلاميذ وتابعيهم ومن دخل في زمرتهم - لا تمثل فكرا عقائديا واحدا، ولكنها تمثل عقائد مختلفات. يقول فريدريك جرانت: «**إن العهد الجديد كتاب غير متجانس، ذلك أنه شتات مجمع، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة**»[١]

وتبرز هذه المشكلة الخطيرة في الأناجيل الأربعة، مما دفع دائرة المعارف الأمريكية إلى تقرير أن «**الاختلاف بينهم عظيم.. لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) باعتبارها صحيحة وموثوقا فيها فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا**»[٢].

لكن بولس هو صاحب المسيحية التقليدية التي شاعت وذاعت، وقامت أساسا على الصلب وسفك الدم، وأدخلت على مسيحية المسيح الحقة الشيء المخالف والخطير.

لذلك اعتبر بعض العلماء أن بولس هو مؤسس المسيحية، أو على الأقل هو شريك المسيح في تأسيسها.

يقول العالم الأمريكي مايكل هارت في كتابه «المائة: قائمة بأعظم الناس أثرا في التاريخ» - وقد وضع محمدا رسول الله على رأس القائمة، ثم جعل المسيح يأتي في المرتبة الثالثة، وبولس في المرتبة السادسة - حين يتحدث عن المسيحية فإنه يقول:

«**إن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان:** المسيح وبولس». فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وما يتعلق بالسلوك الإنساني، أما

---

(1) F.c Grant: The Gospels, Faber and Faber, London, 1957 ص١٥

(2) ENCYCLOPEDLA AMERICANA 1959 ج١٣-ص٧٣

مبادئ اللاهوت فهي من صنع بولس. فالمسيح هو صاحب الرسالة المسيحية، ولكن بولس أضاف إليها عبادة المسيح، كما أنه ألف جانبا كبيرا من العهد الجديد، وكان المبشر الأول للمسيحية في القرن الأول.

«إن عددًا من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة المسيحية هو بولس، وليس المسيح. وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسئولا عما أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه».

ثم يقول هارت عن أفكار بولس: «إن يسوع لم يكن فقط نبيا بشرا، بل كان إلها حقا، وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر، وأنه إذا آمن الإنسان بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه.

وبولس هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى، وأعلن أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة، ولا داعي للتمسك بتعاليم موسى، لأن تطبيق ذلك ليس كافيا لخلاص الإنسان.

لكن المسيح لم يكن يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح»[1]

لقد كان هذا ملخصًا لأفكار بولس وأثره في المسيحية، ولسوف نعرض لأهم ما أثاره من قضايا بشيء من التفصيل.

١. بولس والمسيح:

لقد انصرف بولس عن تعاليم المسيح وما جاء يبشر به من ضرورة الإيمان بالله الواحد الذي يقبل الكل وتشرق شمسه على الأشرار والصالحين وجعل كل همه الحديث عن المسيح والصليب بأفكار متضاربة وفلسفات تضاهي أقوال الذين اصطنعوا آلهة ثم عبدوها، مثل

---

(١) مجلة «أكتوبر»: العددين ١٠٤، ١٠٦

قدماء المصريين والهنود والإغريق. يقول هنتر – عميد كلية المسيح بجامعة إبردين بإنجلترا- عن مفهوم بولس للمسيحية:

«إن شخص المسيح يقف في قلب مفهوم بولس للمسيحية كعقيدة خلاص»[1]

ولا غرو؛ فهذا بولس يقول: «إني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا المسيح وإياه مصلوبا – (١) كورنثوس ٢:٢»

وهذا الإنجيل الذي قام يبشر به بولس لم يتعلمه من المسيح إبان إحيائه – لأنه لم يحظ برؤياه- ولم يكن تعليما نقله عن تلاميذه المعتبرين، إنما كان رؤيا تضاربت فيها الأقوال، كما سبق بيانه.

وإذا علمنا أن الموضوع الرئيسي الذي سبب الشقاق الديني المسيحي، وما اصطبغ به من صراع دموي رهيب وتكفير كل فرقة مسيحية لمخالفيها في الرأي، كان كما يقول المؤرخ الإنجليزي ستيفن رنسيمان: «طبيعة المسيح الذي تعتبر أهم وأعقد المشاكل في أصول الدين المسيحي»[2] لأدركنا على الفور المنعطف الخطير الذي دفع بولس بمسيحية المسيح الحقة لتنزلق إليه، بعد أن وضع بذرة الشقاق الذي لا يزال ينمو إلى الآن، وأغرق الناس في متاهات الحديث عن طبيعة الداعي بدلا من الحديث عن تعاليمه ومواعظه.

ويلخص هنتر فكر، بولس في المسيح، فيقول: «إن بولس يصف هذا المخلص بأعظم الألقاب، رغم أن استخدامه للقب مخلص نادر جدا (المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد –إفسس ٥: ٢٣، فيلبي ٣: ٢٠). ومن بين ألقاب التمجيد التي دعاه بها: مسيح – رب- ابن الله.

وفي مواضع أخرى يتحدث عنه بأنه: الحكمة الإلهية –آدم الثاني، **على الرغم من أنه لم يستخدم أبدًا لقب ابن الإنسان (الشائع في الأناجيل).**

---

(1) A.M. Hunter: paul and his predecessors, scm press, London.1961 ص٧٠

(٢) تاريخ الحروب الصليبية: ستيفن رنسيمان – ترجمة الدكتور السيد العريني- دار الثقافة- بيروت: ج١- ص ٢٠

وهو يؤكد بشرية المسيح الكاملة: مولود من امرأة -تحت الناموس.. ومن غير المحتمل أن يكون سماه: الله (الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد - رومية ٩: ٥)، **إلا أنه يذكر المسيح مثل الله الآب تماما** (سلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح - رومية ١: ٢٧، (١) تسالونيكي ١: ١، (٢) كورنثوس ١٣: ١٤).

ثم هو يدعوه ابن الله بمعنى لا نملك إلا أن نصفه بأنه منقطع النظير (الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية.. الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا - رومية ٨: ٣،٣٢؛ نقلنا إلى ملكوت ابن محبته.. الذي هو صورة الله - كولوسي ١: ١٣-١٥)، ويؤكد على أن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا (كولوسي ٢:٩)، وبينما هو يلحق بيسوع لغة العهد القديم المستخدمة ليهوه (إله إسرائيل، **مثل** قوله: لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به **لا** يخزى.. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص - رومية ١٠: ١١-١٣)، فإنه يعتبر يسوع أقل منزلة من الله (رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح فهو الله - (١) كورنثوس ١١: ٣، ١٥: ٢٤).

ورغم أنه ولد وعاش كموحد صارم، **إلا أنه يستطيع أن يصلي ليسوع كما لو كان يصلي لله تماما**. وعلاوة على ذلك فإن بولس يظن أن للمسيح وجودا سابقا (لأنهم كان يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح - (١) كورنثوس ١٠: ٤؛ لكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس - غلاطية ٤:٤).

ثم هو ينسب إليه دورا كونيا في عملية الخلق (رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به - (١) كورنثوس ٨: ٦؛ فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض.. الكل به وله قد خلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل - كولوسي ١: ١٦-١٨).

وأخيرًا فإن بولس يربط المسيح الحي بالروح (القدس)، وبينما يرجح عدم تمييزه بينهما فإنه يذهب إلى الحد الذي يقول فيه: الرب هو الروح - (٢) كورنثوس ٣: ١٧، إن هذا باختصار هو مفهوم بولس للمسيح»[1]

---

(1) A.M. Hunter: paul and his predecessors, scm press, London.1961 ص٨٠

من الواضح أن بولس لا يعبر إلا عن فكر مضطرب في المسيح، فهو يكاد يخلط بينه وبين الله حينا (**مخلصنا الله**.. سلام من الله الآب **والرب يسوع** المسيح **مخلصنا** – تيطس ١: ٣-٤) ثم يركز على أن المسيح ابن الله في أغلب الأحيان.

إن لغة أسفار العهد القديم قد تحدثت عن «بنوة» لله حين أشارت إلى الشعب الإسرائيلي وبعض أنبيائه، لتعني بذلك المحبة والرعاية من الله لخلقه، ولاشيء غير هذا.

وكذلك تحدثت الأناجيل عن تلك البنوة بنفس المفهوم الذي لا يعطي للمسيح وضعا يميزه عن سائر المؤمنين. ويكفي التذكرة هنا بها أورده إنجيل يوحنا على لسان المسيح، مشيرا إلى الله: «**أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم** – يوحنا ٢٠: ١٧».

لكن دعوة بولس للمسيح بأنه ابن الله، جاءت – كما يقول هنتر – منقطعة النظير، فهي شيء يختلف تماما عن لغة أسفار العهد القديم، ولغة الأناجيل ورسائل التلاميذ، لأنها تقوم على الألوهية الأزلية للمسيح.

«لقد سمي بولس يسوع «ابن الله» أربع مرات، و«الابن» مرتين، و«ابنه» لا أقل من إحدى عشر مرة.. **وعندما سمي بولس يسوع ابن الله، فقد كان يتحدث عن كائن إلهي. ولمعرفة مصدر هذه التسمية فيجب أن نذهب إلى الهللينية التي اعتادت على تسمية صانعي الأعاجيب بأنهم أبناء الله**»(١)

لقد كان هناك مدرستان:

الأولى: هي المدرسة الفلسطينية التي قامت على التلاميذ الأول للمسيح وأسست الكنيسة الأم في أورشليم، وكانت صارمة في عقيدة التوحيد وعدم الخلط بين الله والمسيح.

وأما الثانية: فكانت المدرسة الهللينية التي ازدهرت في أنطاكية وطرسوس – موطن بولس – والتي تمثل فكر الإغريق وأساطيرهم التي تتحدث عن تجسد الآلهة ونزولها من السماء واختلاطها بالبشر.

---

(١) A.M. Hunter: paul and his predecessors, scm press, London.1961 ص١٤٣

والآن، لم يعد من الصعب علينا تحديد إلى أي المدرستين ينتسب بولس. إنه ينتسب إلى المدرسة الهللينية بفلسفاتها وأساطيرها.

لكن مسيحية المسيح الحقة إنما تقوم - بداهة وبداءة - على التوحيد الخالص، عدم الخلط بين الله والمسيح، ولا تزال لها بقايا في الأناجيل، نذكر منها بعض ما أورده كاتبوها على لسان المسيح.

«**وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته** – يوحنا ١٧ : ٣».

«**لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله** – متى ١٩ : ١٧».

«**أنتم تدعونني معلما وسيدا، وحسنا تقولون لأني أنا كذلك** – يوحنا ١٣ : ١٥».

«**أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا** – يوحنا ٥ : ٣».

«**تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني**. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي. من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم – يوحنا ٧: ١٦-١٨».

إن مسيحية بولس تختلف تماما عن هذه المسيحية – مسيحية المسيح وتلاميذه التي تقوم أساسا على التوحيد الخالص، وكانت عقيدة المسيحيين الأوائل.

ويلخص هنتر عقيدة أولئك المسيحيين الأوائل: كما – لا تزال – تنطق بها الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل، والتي تتكلم عن الفترة التي سبقت ظهور بولس في مجتمع التلاميذ، إذ يقول:

«يسوع رجل من الناصرة تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب (٢: ٢٢).. إنه عبد الله (٣: ١٣، ٢٦، ٤: ٢٧)، أمير الحياة (٣: ١٥، ٥: ٣١).. إنه نبي مثل موسى (٣: ٢٢، ٧: ٣٧)، الذي تكلم عن أيامه كل الأنبياء من صموئيل فما بعده (٣: ٢٤)..

لقد أنكر ولهلم بوسيه أن تكون الكنيسة الأولى قد عبدت المسيح أبدا كرب، فقد كانت عقيدة المسيحيين الأوائل فيه تجزم أنه «ابن الإنسان».

أما الصلاة إليه كرب، أو التوسل باسمه في الشفاء والرقية والتعميد، كل ذلك قد جاء فيما بعد، **وقد لعب بولس فيه دورا كبيرا ولاشك**»[1]

نعم.. لقد لعب بولس الطور الأكبر في الدعوة إلى ألوهية المسيح، وكانت رسائله أقدم كتب قبلتها الكنيسة، ودعا فيها المسيح ابن الله، بنوة حقيقية – لا مجازية- باعتبار «الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد» فكان بذلك أول دعي مسيحي يقول: لله ولد.

٢.بولس وتوراة موسى:

لقد عرف بولس بتهجمه الشديد على التوراة والسخرية منها، إذ نفى عنها أية إمكانية لتبرير الإنسان ونجاته،ومن ثم دعا إلى إبطالها وحصر الخلاص في الإيمان بالمسيح المصلوب. ويكفي الرجوع إلى رسائله وخاصة الرسالة إلى أهل غلاطية، وكذلك الرسالة إلى العبرانيين التي يعتبرها الكاثوليك من رسائل بولس، فهو يقول:

«**جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة**، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.. **قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح** لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان **لسنا بعد تحت مؤدب** – غلاطية ٣: ١٠-٢٥».

«**نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل** بإيمان يسوع المسيح.. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما – غلاطية ٢: ١٦».

«**قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة** – غلاطية ٥: ٤».

---

(1) A.M. Hunter: paul and his predecessors, scm press, London.1961 ص٨١-٨٤

«**إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها**، إذ الناموس لم يكمل شيئا – عبرانيين ٧: ١٨-١٩».

«**أما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال** –عبرانيين ٨: ١٣». من الواضح أن هذه التعاليم البولسية تتعارض تماما مع تعاليم المسيح عن الناموس، **من** ضرورة الحرص عليه والتمسك به باعتباره السبيل القويم لتبرير الإنسان ونجاته. فهو يقول:

«**لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.** ما **جئت** لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات –متى ٥: ١٧-١٩».

«خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون.

فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون – متى ٢٣: ١-٣».

لقد نقض بولس وصايا المسيح، فحق عليه أن «يدعى أصغر في ملكوت السموات».

إن هذا وحده يكفي للبرهنة على أن مسيحية بولس تختلف أساسا عن مسيحية المسيح.

٣- بولس وخطيئة آدم:

يقول بولس: «بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع.. قد ملك الموت من آدم إلى موسى. وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم.. كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارا – رومية ٥: ١٢-١٩».

وفي هذا يقول وليم باركلي: «**لقد كان كل الناس، حسب تفكير بولس، متورطين في خطيئة آدم،** فهذا هو لب الإصحاح الخامس من رسالته إلى أهل رومية..

إن هذا القول بالنسبة لنا يعتبر جدلا غريبا، لكنه يتفق مع تفكير اليهودي الذي كان يعتقد تماما بفكرة التضامن. فلا تزال توجد إلى الآن قبائل بدائية إذا سألت أحد أفرادها عن اسمه، أبى أن يقوله لك، ولكنه سينطق بدلًا منه اسم قبيلته التي يرتبط بها تمامًا ولا يستشعر حياته بدونها»[1]

ويقول تشارلز دود: «**كيف جاءت الخطيئة إلى الطبيعة البشرية؟ هذا سؤال لا يعطي عنه بولس إجابة كافية**. فهو تارة يرجع ذلك إلى خطيئة تاريخية ارتكبها جد الإنسانية (آدم) في غابر الزمان، إذ كانت تلك هي الرواية السائدة في اليهودية المعاصرة له.

لكنا نجد بولس في بعض الفقرات، يقترح مصادر أخرى لخطيئة البشر. فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود حكام العالم، من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) التي لها بعض العلاقات الخاصة بالعالم المادي. ولا يبدو أن تلك العلاقة كانت شرا بالضرورة، ولكن إذا خضع الإنسان لسلطان تلك الأرواح، فإنه يكون قد وصل إلى حالة شاذة من العبودية..

وإذا كان القول بتناقل البشرية لخطيئة آدم يمثل عقيدة يهودية، فإن القول بنظرية الأرواح الجوهرية يأتي بالأحرى من الأفكار الإغريقية، ولو أن أيا منها لا يقنعنا بشيء»[2]

وتكتمل نظرية بولس في الخطيئة حين يجعلها سببا للموت الطبيعي. يقول باركلي:

«لقد رأى بولس أن الخطيئة لم تحدث موتًا روحيًّا وأخلاقيًّا فحسب، بل أحدثت كذلك الموت الجسدي. فمن تعاليم بولس أنه إذا لم توجد الخطية فلا يوجد الموت.

لقد جاء الموت إلى العالم مع مجيء الخطية (اجتاز الموت إلى جميع الناس – رومية ٥: ١٢)، وأن الخطية قادت إلى الموت (ملكت الخطية في الموت – رومية ٥: ١٢)، وأن الخطية قادت إلى الموت (ملكت الخطية في الموت – رومية ٥: ٢١)، وأن أجرة الخطية هي الموت (رومية ٦: ٢٣).

---

(1) William Barclay: the mind of st. paul, Fontana books, London, 1965 ص١٣٨

(2)C.h Dodd: the meaning of paul for today, Fontana books, London, 1964ص٦٢،٦٣

أي أنه عن طريق الخطية وبسببها، دخل الموت إلى العالم. فالخطية تهدم الحياة الروحية والأخلاقية والجسدية»[١]

ويؤكد بولس أن الخطيئة المتوارثة هي سبب الموت الجسدي للأجيال المتعاقبة من ذرية آدم، حتى ولو لم تقترف تلك الأجيال خطايا مثل خطية آدم؛ فهو يقول:

«قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم – رومية ٥: ١٤». ويوضح باركلي نظرية بولس هذه فيقول:

«لقد دخل الموت إلى العالم بسبب خطية آدم، إذ أن الموت هو عقوبة الخطية».

لقد عاش الناس بلا شريعة يعصونها حتى جاء موسى، أي أنهم لم يرتكبوا خطايا ومع ذلك فقد ذاقوا جميعا الموت. فلماذا؟ ذلك لأنهم قد أخطأوا من قبل مع آدم.

إن هذا هو فكر بولس في الخطية»[٢]

مما سبق يتضح أن الموت الجسدي قد حل بالإنسان ـ حسب تفكير بولس ـ بسبب خطيئة آدم. ونريد الآن أن نبحث خطيئة آدم المتوارثة وعلاقتها بكل من الموت الجسدي والموت الروحي والأخلاقي؛ وذلك من خلال الكتاب المقدس.

إن قصة خلق الإنسان – كما تقصها التوراة – تبين بوضوح، أنه حتى وإن لم يخطئ آدم بمعصية الله والأكل من الشجرة المحرمة التي سميت باسم «شجرة معرفة الخير والشر»، فإنه كان سيموت حتما إلا إذا أكل من شجرة أخرى عرفت باسم «شجرة الحياة». ولذلك طرد من الجنة، حتى لا يأكل منها ويحيا إلى الأبد. فبعد أن أكل آدم من الشجرة المحرمة وعصى ربه فأخطأ، ثم عرف الخير والشر «قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر. **والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد.**

---

(1) William Barclay: the mind of st. paul, Fontana books, London, 1965 ص١٤٢

(2) William Barclay: the mind of st. paul, Fontana books, London, 1965 ص١٣٩

فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها – تكوين ٣: ٢٢-٢٣».

أي أن النفس البشرية عندما كانت في الجنة. وقبل أن تكسب الخطيئة، فإنها كانت معرضة لسلطان الموت، وكانت تتمنى لو أفلتت من قبضته وعاشت في خلود.

هذا من ناحية الموت الجسدي، وأما من ناحية الموت الروحي والأخلاقي فإن الاعتقاد بتعرض البشرية كلها لسلطانه تضامنا مع أبيها آدم في خطيئته، يعني بالضرورة أن أحدا من ذرية آدم لم يكن بارا أمام الله، وأن الجميع هالكون لا محالة. لكن هذا يصطدم مع ما يقوله الكتاب المقدس عن أبرار من بني آدم، عاشوا قبل المسيح ورضي الله عنهم. فهذا أخنوخ (إدريس) يقول في الكتاب:

«وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه – تكوين ٥: ٢٤»

«بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله – عبرانيين ١١: ٥».

كذلك رفع إيليا (إلياس) دون أن يرى بشرموته: «صعد إيليا في العاصفة إلى السماء – الملوك الثاني ٢: ١١».

وليست علامة الأبرار وجزاؤهم ألا يذوقوا الموت على هذه الأرض، فإن كثيرين ماتوا أو قتلوا – قبل أن يأتي المسيح وتشهد لهم الأسفار بالمغفرة والبر والرضا من الله.

إن القصة التي يرويها المسيح عن إبراهيم أبى الأنبياء ولعازر أحد المساكين، لتمحو كل أثر عما يقال بتوارث الخطيئة التي لا مفر من عقوبتها ـ حسب فكر بولس ـ إلا بسفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر. يقول المسيح:

«كان إنسان غني.. يتنعم كل يوم مترفها، وكان مسكين اسمه لعازر الذي طرح عند بابه مضروبا بالقروح ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني..

فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم.

ومات الغني أيضا ودفن، فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب.

فقال إبراهيم: يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا.

والآن هو يتعزى وأنت تتعذب.

فقال: أسألك إذًا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا هم أيضا إلى موضع العذاب هذا.

فقال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء. ليسمعوا منهم.

فقال: لا يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون.

فقال هل: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون – لوقا ١٦: ١٩-٣١».

الحق أن هذه القصة، وإن كانت تنقض فكرة الخطيئة المتوارثة من أساسها وهي التي روج لها بولس في مسيحيته، إلا أن لها دلالة أخرى أكبر وأعظم، وهي: أن العقيدة الصحيحة التي تنجي صاحبها من العذاب الأبدي، هي الإيمان بالإله الواحد إله إبراهيم وموسى والأنبياء، ثم العمل الصالح؛ ولاشيء غير هذا.

فتلك هي عقيدة الحق وعقيدة النجاة، سواء قبل المسيح أو بعده، وبها يكون الإنجيل مصدقا للتوراة وكتب الأنبياء قبل المسيح، لا هادما لها إذا أخذنا بنظريات بولس ومسيحيته.

إن كتب موسى – والأنبياء – تقرر عدل الله حين تقول:

«لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يقتل – تثنية ٢٤: ١٦».

لقد ورث بنو إسرائيل عقيدة التضحية بالأبناء تكفيرا عن الخطايا وإرضاء للآلهة، من جملة ما ورثوه عن جيرانهم من القبائل الوثنية. فقد التصق الإسرائيليون بتلك القبائل وصاهروها ونقلوا عنها كل رجس؛ بما في ذلك معبوداتهم الوثنية التي قدموا لها القرابين ومن بينها إحراق أولادهم في النار؛ إطفاء لغضبها:

«عمل بنو إسرائيل سرا ضد الرب إلهم أمورا ليست بمستقيمة.. عبدوا الأصنام. ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم.. وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم..

وعبروا بنيهم وبناتهم في النار..

فغضب الرب جدا على إسرائيل ونحاهم من أمامه – الملوك الثاني ١٧: ٩-١٨».

لقد كانت فكرة التضامن في الخطية تلح دائما على التفكير الإسرائيلي الذي انحرف عن تعاليم موسى والأنبياء، وقد التصقت به تماما في الأطوار اللاحقة التي اتسمت بعبادة الأصنام حتى صارت عقيدة مكتسبة. من أجل ذلك جاءهم النذير والتبكيت على لسان حزقيال الذي يقول:

«أنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب؟!

أما الابن فقد فعل حقا وعدلا، حفظ جميع فرائضي وعمل بها، فحياة يحيا.

النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار يكون عليه، وشر الشرير يكون عليه.

فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقا وعدلا، فحياة يحيا. لا يموت. كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه. في بره الذي عمل يحيا. هل مرة أسر بموت الشرير؟ يقول السيد الرب ألا برجوعه عن طرقه فيحيا..

إذا رجع البار عن بره وعمل إثما ومات، فبإثمه الذي عمله يموت. وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل، وعمل حقا وعدلا، فهو يحيى نفسه.

توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة.. لأني لا أسر بموت من يموت، يقول السيد الرب، فارجعوا واحيوا – حزقيال ١٨ : ١٩-٣٢».

وبناء على نظرية بولس في الخطية المتوارثة، فقد جعل التفكير عنها لا يتم إلا بقتل المسيح إرضاء لله – سبحانه – وثمنا لعقد صلح بين البشر وخالقهم. فهو يقول:

«ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه – رومية ٥: ١٠».

«يسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة – رومية ٣: ٢٥».

وانتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة:

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون **كل** من علق على خشبة – غلاطية ٣: ١٣».

وما قصده بولس هنا هو ما كان يروج له من أن المسيح قتل بعد تعليقه على خشبة الصليب، تلك الميتة التي تقرر توراة موسى أن صاحبها ملعون:

«إذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم. **لأن المعلق ملعون من الله** – تثنية ٢١: ٢٢-٢٣».

لقد بدأت مسيحية بولس وانتهت بقتل المسيح على الصليب، ولاشيء غير هذا:

«إني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا – (١) كورنثوس ٢:٢».

وإذا كان بولس يقول أحيانا بأن قتل المسيح جاء عملا من جانب الله خلت جوانبه من الرحمة (رومية ٨: ٣٢)، فإنه يقول في أحيان أخرى بأن ذلك كان عملا تطوع به المسيح فداء للبشرية:

«يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، **يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع** – (١) تيموثاوس ٢: ٥-٦».

وتشهد الأناجيل – في أغلبها- بأن فكرة قتل المسيح فدية – التي روج لها بولس- كانت غريبة على تفكير المسيح نفسه. فقد استنكرها في مناسبات كثيرة وفزع منها تماما حين أحس بالخطر يتهدده. ولقد بينا ذاك في موضع سابق(١)، ونذكر منه الآن:

«**أجابهم يسوع، لماذا تطلبون أن تقتلوني.. وأنا إنسان قد حدثكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم** – يوحنا ٧: ١٩، ٨: ٤٠».

وفي نهاية الفترة التي سبقت عملية القبض على ذلك الذي صلبوه قال المسيح في صلاته لله:

«أنا مجدتك على الأرض.**العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته** – يوحنا ١٧:٤».

لقد اكتملت رسالة المسيح تماما قبل حادث الصلب، فمن ذا الذي يفنى بها يخالف شهادة المسيح؟!

وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة في الحديقة أن المسيح يرفض فكرة قتله رفضا تاما، فلقد أصابته حالة من الفزع والانهيار كلما تصور أن تلك ستكون نهايته:

«**ابتدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت.. وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن**. وقال يا أبا الآب: كل شيء مستطاع لك. **فأجز عني هذه الكأس**.. وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه.

كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض – مرقس١٤، لوقا ٢٢».

وأخيرا فإن ذلك الذي قبضوا عليه وصلبوه، كان يرجوهم – حتى آخر لحظة- أن يطلقوه ولا يقتلونه:

---

(١) راجع كتاب المؤلف: المسيح في مصادر العقائد المسيحية -٢٠٢ -٢٠٦ – مكتبة وهبة – القاهرة.

«اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح فقل لنا.

فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون. **وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقونني** – لوقا ٢٢: ٦٦-٦٨».

من ذا الذي يجرؤ – إذن- على القول بأن المسيح جاء ليبذل نفسه طواعية، ليكون فداء لخطايا البشرية بدمه الذي يسفك على الصليب؟!

إن هذا الذي تزخر به الأناجيل عن كره المسيح ورعبه من فكرة قتله، يخالف تماما دعاوي بولس. يقول تشارلز دود: «**إن رسائل بولس تخالف في أحوال كثيرة ما في الأناجيل، وذلك لما تحويه تلك الرسائل من فلسفات متعارضة**»(١)

هذا – ومن المقطوع به أن تراث التلاميذ الأولين لكل نبي جاء معلمًا وهاديًا، إنما يمثل- على الأقل، إن لم يكن تمثيلا تاما- أقرب فكر وتعاليم لذلك النبي ورسالته. نقول هذا بمناسبة ما درج عليه البعض من تسمية مسيحية تلاميذ المسيح الذين تلقوا منه مباشرة، باسم المسيحية اليهودية، لكونها تخالف المسيحية التقليدية التي شاعت بعد ذلك وقامت على فلسفة الصلب ودعوى التثليث.

وفي دراسة للكاردينال دانيلو عن المسيحية اليهودية، يذكر أنه قد «كونت مجموعة الحواريين الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها.

ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم، إن جاز القول، نظاما خاصا: إذ يحلهم مجمع القدس المسكوني (٤٩م) من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية، ورفض كثير من اليهود المسيحيين هذا التنازل. وانفصلت هذه المجموعة تماما عن بولس..

---

(1) C.h Dodd: the meaning of paul for today, Fontana books, London, 1964 ص١٦

أما اليهود المسيحيون الذين ظلوا يهودا مخلصين فإنهم يعتبرون بولس كخائن، وتصفه وثائق مسيحية يهودية بالعدو، وتتهمه بتواطؤ تكتيكي ولكن **المسيحية اليهودية[1] كانت تمثل حتى عام ٧٠م غالبية الكنيسة، وكان بولس منعزلا في ذلك الوقت.**

كان رئيس الجماعة يعقوب قريب المسيح، وكان معه (في البداية) بطرس ثم يوحنا. ويمكن اعتبار يعقوب كعمود المسيحية اليهودية، الذي ظل عن إرادة ملتزما بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية. إن أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة في هذه الكنيسة المسيحية اليهودية بالقدس.. لم تكن المسيحية اليهودية سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة، فقد تطورت البعثة المسيحية اليهودية، فيما يبدو، في كل مكان قبل البعثة البولسية. وذلك هو ما يوضح الإشارة الدائمة في رسائل بولس إلى صراع ما. إنهم نفس الأعداء الذين قابلهم حيثما ذهب، بغلاطية، وكورنثة، وكولوسي، وروما، وأنطاكية..

ولما كان اليهود منبوذين في الإمبراطورية (الرومانية) فقد نحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم، عندئذ ساد المسيحيون الهللينستكيون: لقد حاز بولس على النصر بعد وفاته. بهذا انفصلت المسيحية اجتماعيا وسياسيا عن اليهودية لتكون ما يعرف بالشعب الثالث برغم **ذلك، وحتى آخر التمرد اليهودي عام ١٤٠م، كانت المسيحية اليهودية سائدة ثقافيا..**

وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعا للنقاش، وإذا كان قد اعتبر خائنا لفكر المسيح، كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول يعقوب، فذلك لأنه قد كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه. ولما لم يكن قد عرف المسيح في حياته، فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد على أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق..

وبانقطاع اليهود المسيحيين عن الكنيسة الكبرى التي تحررت تدريجيا من روابطها اليهودية، سرعان ما فنوا في الغرب. ولكن يمكن اقتفاء آثارهم من القرن الثالث إلى القرن

---

(١) في الترجمة العربية لدراسة الكاردينال دانيلو – التي أنقل عنها- جاء تعبير «اليهودية - المسيحية» وهو غير دقيق، وصحته «المسيحية اليهودية» إذ أنه بالإنجليزية :Jewish Christianity- كذلك عدلت اسم «جاك» ليكون: يعقوب.

الرابع، بالشرق وخاصة في فلسطين والجزيرة العربية ما وراء الأردن وسوريا وما بين النهرين»[1]

أما بعد.. لقد جاء المسيح بعقيدة، وجاء بولس بعقائد أخرى مختلفات. لكن عقائد بولس هي التي كتب لها النصر، وصارت أقواله هي الأكثر حظوة بالترديد والاستشهاد في المواعظ والدراسات، خلافا لما عليه الحال مع أقوال المسيح التي تذكرها الأناجيل.

إنهما مسيحيتان ولا شك... فأيهما أولى بالتقديم والتبشير؟

مسيحية المسيح التي تدعو إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، والتمسك بالناموس والأنبياء وجوهرهما: «**الحق والرحمة الإيمان**» -متى ٢٣: ٢٣» أم مسيحية بولس الصليبية التي لا تعرف شيئا سوى اسم المسيح وإياه مصلوبا – (١) كورنثوس ٢: ٢»؟

سؤال لا تحتاج الإجابة عنه إلا للحظات قليلة من الصدق مع النفس واتزان العقل، ولا شيء غير هذا المطلب الطبيعي والضروري والكافي.

لكن نتيجة هذه الإجابة – التي ستكون بلا شك في جانب مسيحية المسيح – سوف تكون عظيمة الآثار على أمن الإنسان في الدنيا والآخرة وعلى سلام هذا العالم ودفعه نحو الوحدة والأمان.

❋❋❋❋

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: موريس بوكاي – دار المعارف – القاهرة: ص٧١-٧٤